

الشعب يعود إلى بيته نصرالله والمستقبل في القصر الجمهوري

وأصبح للشعب اللبناني بيتٌ باسمه هو القصر الجمهوري في بعبدا. لبّى النداء أمس الآلاف مهتاً أتوا بعد 26 سنة إلى المكان الذي طردوا منه. لاقاهم في الساحة، أناس من مختلف فئات الوطن السياسية والطائفية. اجتمعوا على أنّ الأمل عاد إلى بعبدا، أما ميشال عون، فغازلهم هنّ جديد: «يا شعب لبنان العظيم»

الذي كان يُجيش جماهير الـ 89 عبر قصائده، فشخصت إليه الأنظار. الشاشة العملاقة التي نُصبت في الساحة لم تكن كافية للأعداد الكبيرة. ما إن نقلت صورة عون حتى «جُنّ» الجمهور. الرئيس يتكلم وعماد يذرف الدموع. لماذا؟ «ما يعرف. كنت صغير حاملني عا كتافو وقللي بدك تطلع تحب البدلة العسكرية». حين ذكر عون «الطيران الغريب» الذي حلّق فوق بعبدا قبل 26 عاماً، متمتعاً عن تسميته، استعاد بعض الحاضرين هتافات لطالما رُدّوها ضد سوريا، قبل أن يُقمع هتافهم. من المفارقات الغربية أن يقول عون إنّ البيئته ستعود نظيفة مهما كلف الأمر، فيؤكد الناس على كلامه بالهتاف، إلا أنهم يُغادرون الساحة تاركين على الأرض الكثير من عبوات المياه الفارغة وأكياس الأكل.

بعيداً عن هذه الملاحظة، مثيرة للإعجاب الطريقة التي يتصرّف بها العونيون مع ظاهرة ميشال عون، قبل الرئاسة وبعدها. لم يكن الجنرال يوماً مصدرراً للخدمات لجمهوره وفق الطريقة اللبنانية. على العكس، في الحرب، كان الجمهور يتبرّع للجيش. لم يطالبوه ببناء دولة لهم في مناطقهم، ولم يطلبوا منه السلاح. خلافاً لذلك، تطوّعوا ليكونوا انصاره. حتّى به ناموا في القصر، مطالبين بالحرية. انتظروه ليعود عام 2005، ومن حينها لم يردّوه خائباً مرّة. وأمّس، كانوا مجدداً بالآلاف تُخبر حماسهم جملة «يا شعب لبنان العظيم» المسرحية. ميشال عون ظاهرة، وآمال الجمهور المعلقة عليها كبيرة جداً. المطلب الوحيد هو بناء الدولة التي لطالما انتظروها، وأولى خطواتها ستكون مع اعتماد قانون جديد للانتخابات النيابية.

استراح شاهيه كريكوريان مع عائلته. هو صاحب الخيمة الرقم 88 قبل 26 سنة. اصطحب أولاده أمّس «ليحسوا بالأمل الحلو بالحياة». أمور كثيرة تبدلت على طريق القصر «يللي حفنت إجرينا عليها»، بحسب ليلي مغيب. هُجّر الأهل منه، فبات عبارة عن حجارة باردة، «هلق صار الو معنى» تقول السيدة سلامة التي هربت منه في 13 تشرين.

التدابير الأمنية أخرجت الدخول إلى الساحة. تدافعوا وكانهم بذلك يُقربون لحظة وصولهم. بملاحم تجمع بين القسوة والطيبة. يحمل جان سعادة كتاب «العودة»، وداخله صور «هذا الشعب العظيم». عنصر «أنصار الجيش» السابق عاد بعد 26 سنة «لأننا أوفياء لهذا الوطن». كان عون قائداً للواء الثامن «وكان ينزل يرتاح عنا، اليوم نحنا جاين نرتاح عنده».

من تلملم من أشعة الشمس، عاجلته إحدى السيدات مُخففة عنه: «نظرتنا 26 سنة فينا نخطر 5 دقائق». أما الوالد، فيعد أطفاله بأن الإنتظار سببه أننا «سندخل لنزور الجنرال». وبين الناس العاطفيين، «تسلل» شاعر أتى من صيدا وبدأ يوزع قصائده على الناس «من ميل بصير معروف، ومن ميل في محبة عون». عدد كبير من مسؤولي التيار والنواب حضروا أمّس، وتوزعوا بين الجماهير، مثلهم تصرّف الوزير جبران باسيل. لحظات قبل أن يظهر في الساحة الأب سيمون عساف،



أمّس الجمهور على ظاهرة ميشال عون كبيرة جداً. المطلب الوحيد هو بناء الدولة (هيلم الموسوي)

رضا سلامة. للأخير حكاية أخرى يحملها أمانة من والده الشاعر يوسف سلامة المتوفى. كان الأب يملك «بيك أب»، عمل رضا طيلة يومين من أجل إعادة تزيينته. علّق عليه قصائد الوالد وصور تظاهرات الـ 89، «وغدت لأنني رجل متهور تمكّنت من تحقيق حلمي». وقد كفرمتي (عاليه) تميز بالقمصان السود والوشاح الذي خُطّ عليه: «كفرمتي معك». يصرخ بهم المنسق ليقفوا جبهة واحدة، قبل أن ينفصلوا أمام حاجز التفتيش الأول بين رجال ونساء.

غالبية الحشود سلكت الطريق إلى القصر سيراً على الأقدام. ومن لم تُسعفه رجاله كان بإمكانه ركوب الحافلات. في ظل إحدى الشجرات

أرادوا العودة إلى الباحات التي عرفتهم واستعادة فخرا سُلب منهم على وقع هدير الطائرات. كلّ المنسقيات حرصت على تأمين وصول أكبر قدر ممكن من الناس. بيد أن التعبئة الأكبر كانت لكسروان الفتح التي مثلها عون نائباً لدورتين متتاليتين. جرس إحدى بلداتها، داريا، فُرع أمّس في القصر لا في الرعية. نُصبت على ظهر شاحنة ضخمة، وانطلق أهل داريا به إلى بعبدا في استعادة لما كانوا يقومون به عام 1989 يوم تحدوا نيران الميليشيات الحاكمة في المنطقة. حراجل رفعت النداء إلى شفيعتها: «خُلي عينك عا العماد يا سيّدة الوردية». أما من فاريا، ف«تفضلو عا التفاح» يصرخ

ليا القرني

في الباحة الخارجية لـ «بيت الشعب»، كان أربعة شبان يرتدون قمصانا زرقاً طبعت عليها صورة الرئيس رفيق الحريري وشعار تيار المستقبل. كان لافتاً وقوفهم هناك، بين جماهير التيار الوطني الحر الذي لطالما تبادل والمستقبل قصفاً كلامياً من العيار الثقيل. أحد الشبان، مساعد منسق عام قطاع الشباب في «المستقبل» محمد سعد، يقول إنهم أتوا «لنؤيد المبادرة التي أطلقها الرئيس سعد الحريري وأدت إلى انتخاب رئيس للجمهورية». وكذلك «لنؤكد أنّ تيار المستقبل مع أي شخص يعمل من أجل مصلحة لبنان». لم يشعر شبان «المستقبل» بالغيرة في تلك الساحة: «استقبلونا بكلّ ترحيب»، يقول أحدهم. تقطع الحديث سيّدة تريد أن تلتقط معهم صورة لأنّ «صورتكم بتكبر القلب»!

في الباحة الداخلية، كان مشهد من نوع آخر. صورة الأمين العام لحزب الله حسن نصرالله ارتفعت أمّس في سماء القصر الجمهوري فوق شعارات «الصخ» العونية. الجمهور الذي سعى كثيرون لتضليله، عاد ليُدرك أنّ عون انتخب رئيساً لأنه «بالأول كان في السيد حسن، بعدان الثاني رئيس حزب القوات اللبنانية سمير جعجع»، وبعدان مشي الحال»، كما تقول الستينية سميرة حداد، التي كانت برفقة اثنتين من رفيقاتها. «يا ريتو أخذها (الرئاسة) هوي وأصغر»، تتمنى إحداهن، لكن هذا لا يلغي الفرحة بأن «الأمل رجح».

الحشد والتنظيم اختلفا عن الاحتفالات التي نظمها العونيون سابقاً. لم يكن المنظمون بحاجة إلى الكثير من الجهد لحث الناس على التوجه إلى الساحات. فمحبو عون

رئيس الجمهورية: الفساد سيستأصل

عدالة وقوى أمنية غير مسيئة وغير تابعة للقوى السياسية». وعد عون أنّ من الأمور التي ستتم المباشرة بها تأمين حاجات الكهرباء والمياه وتحسين أوضاع الطرقات في المناطق، بعدما تمّ «التعاطي بكيدية سياسية لعرقلة عملنا». إضافة إلى ضرورة «استثمار الموارد الطبيعية التي ستجعلنا نتخلى عن الاستدانة بعدما وقعنا بعجز مادي».

مشاريع العهد الجديد عديدة «ولكن عليكم أنتم أيضاً مسؤولية كبيرة، فنظافة الكف والسياسة هي من الثقافة، ولا يجب أن تبقى سياستنا قائمة على الشائعات، أو على الفساد وفق مبدأ الاستفادة كما غيرنا. إن الفساد سيستأصل، وستعود البيئة نظيفة مهما كلف الأمر». وأكد «لن نكون مرهونين لأي بلد آخر (...) فاستقللنا وسيادتنا ليسا عداوة ولا يشكّلان خصومة مع دول أخرى».

(...) لأننا كنا ندرك أن القضية لا تنتهي إلا بالحوار». «لا أذكر إلا الطائرات تحمي بعضها طبقة فوق طبقة، طيران غريب لا أريد أن أسميه لأنه لم يعد لدي الآن من سبب للتسمية». يقول عون، مؤكداً أنّ «خروجنا من هذا المكان لم يكن مذللاً». ولكن «انتهت حينها مرحلة النضال المسلح وبدأ النضال السلمي مع الطلاب واللبنانيين (...) لقد كنتم بذلك الأكثر تمثيلاً لأكثر الشعوب تحضراً وليس تخلفاً».

بعد انتهاء مرحلة النضال، ستبدأ «مرحلة بناء الوطن»، الذي يحتاج إلى «دولة قوية تُبنى على دستور يحترمه السياسيون جميعاً». وسيكون هناك الوحدة الوطنية «التي ستعطينا القوة في الوطن والتزامنا تجاه أرضنا واستقلالنا». الشعب اللبنانيي «سيحترم القوانين التي تشكل العقد بين اللبنانيين الحافظة لحقوقهم، وستظهر للبنانيين

للحظة، كاد أن يغيب عن بال رئيس الجمهورية العماد ميشال عون أنه لم يعد زعيماً للتيار الوطني الحر. هم يرفع شعار «الصخ» بيديه، قبل أن يتخبه لذلك ويرفع عوضاً عنها شعار النصر. أمامه في ساحة القصر الجمهوري، كان يقف «شعب لبنان العظيم. كنتم شعباً عظيماً وأصبحت الساحة «على مدى سنتين ولم تتركوها أبداً في أخرج الظروف. ولكن مع الأسف، فإن لعبة دولية كبيرة هي التي انتصرت علينا وسمحت للجنود غير اللبنانيين بأن يقتحموا بلدنا». أوضح عون أنه أمام لبنان الذي كان مُقسماً إلى 20 قطعة، «لم يكن هدفاً الوصول إلى السلطة، بل أن تعطي الحرب معناها الحقيقي. كانت الحرب من أجل حرية وسيادة واستقلال لبنان». لذلك، «لم نحاول مرة أن نتجاوز خطوط التماس، لأنه لم يكن على أرضنا غير لبنانيين

